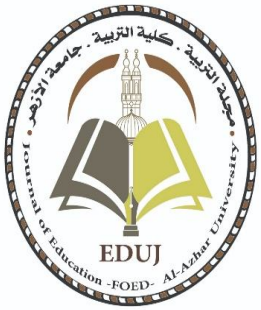

من زاوية تربوية

الأُفُقُ السَّرْمَدِيُّ وَالانْتِمَاءُ المؤَسَّسِيُّ

إعداد

أد/ حسين عبدالعزيز الدريني

أستاذ متفرغ بقسم علم النفس التَّعْلِيمِيّ والإحصاء التربوي،

كلية التربية بنين بالقاهرة، جَامِعَة الأَزْهَرِ

من زاويةٍ تربويةٍ
الأُفُقُ السَّرْمَدِيُّ وَالانْتِمَاءُ المؤَسَّسِيُّ

حسين عبدالعزيز الدريني
قسم علم النفس التَّعْلِيمِيّ والإحصاء التربوي، كلية التربية بنين بالقاهرة، جَامِعَة الأَزْهَرِ، مصر.
البريد الإلكتروني: Hussein.Abdeaziz@azhar.edu.eg

بسم الله الرحمن الرحيم" قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ "صدق الله العظيم

إذا خرجت إلى شاطئ البحر في إحدى أمسيات الخريف الباردة تنتابك مشاعر متعددة. تشعر أولاً بعظمة الخالق وقدرته التي تتبدى في الأفق السرمدي الممتد عبر الزمان والمكان، وفي الرحيل اليومي للشمس تطوي الكون كله وتلف العالم أجمع عندما تتجه إلى خدرها الغربي لتضيئ بقعة أخرى من الكون، وفي موجات البحر التي أتت في رحلة طويلة تتلاحق الواحدة منها تلو الأخرى سعياً للحاق بسابقتها ومتقدمةً على لاحقتها وصولاً لنهاية الرحلة الشاقة ... إنَّ هذا كله وكثيرًا غيره يشعرك بالانتماء إلى هذا الكون اللانهائي الفسيح.

وفجأة ترى أسراب الطيور في رحلة الشتاء والصيف وهي تطير في جماعات ينتمي كل منها إلى بقية أعضاء الجماعة في ظل قيادة توجه المسيرة.

إنَّ حياتنا زاخرة بالانتماءات، إننا ننتمي إلى الأسرة، والمدرسة، والجامعة، والنادي، وجماعة الرفاق .... بعبارة أدق إننا ننتمي إلى مؤسسات متعددة.

والانتماء المؤسسي هو ارتباط الفرد النفسي بالمؤسسة كما يظهر في مشاعره والتزامه وإحساسه بالمسئولية تجاه تحقيق أهداف المؤسسة وتقدمها والإخلاص والاستعداد لبذل الجهد والطاقة وفاءً لها. إنه تعبير عن الهوية الفردية في المؤسسة ومدى ارتباط الفرد بها، ويتضمن مكونات ثلاثة:

1) الهوية: اعتقاد الفرد القوي بقيم وأهداف المؤسسة وقبول وتبني تلك الأهداف.
2) المشاركة: رغبة الفرد في بذل الجهد في سبيل مصلحة المؤسسة.
3) الولاء: نية ورغبة الفرد القوية في البقاء والاستمرار في المؤسسة.

فالانتماء المؤسسي دافع قوي – من الوجهة التربوية الإسلامية – لا يحركه كسب مادي بل يحركه أولاً وقبل أي شيء رضا الله ثم خدمة المؤسسة التي يعمل فيها الفرد بما لا يتعارض مع القيم الإسلامية السامية.

الانتماء المؤسسي عطاء وحب ورضا وقبول من الفرد للمؤسسة لا استغلالها والتضحية بها لأغراض شخصية. إن ذلك الحب هو الإنسان، والإنسان بلا حب ذكرى إنسان.

إنه رضا الفرد وتبنيه لمعايير المؤسسة فيتوحد معها ويشاركها اهتماماتها، ويعمل على تماسكها ونموها. إنه رأب الصدع بين الفرد وسائر الأعضاء بالمؤسسة حتى يسود التعاون وتنتشر الألفة والتكامل، بدلا من الصراع والتزلف الذي يؤدي إلى ضعف إنتاجية المؤسسة ودعم الفُرقة والكراهية بين الأعضاء.

إنَّ الانتماء المؤسسي في التربية والتعليم ضرورة حياتية وتربوية وقومية ويتضمن ذلك التزام العاملين بالقواعد الأخلاقية التي توجه إنتاجيتهم وقيامهم بواجباتهم الوظيفية بإخلاصٍ لمجتمعهم ومؤسستهم وطلابهم وزملائهم ونحو تطوير أنفسهم تحقيقاً للأهداف التربوية المرجوة. إنَّ هذا الانتماء من قيم العمل السامية في الإسلام إذ قال **رسول الله** (ﷺ):"**إنَّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أنْ يتقنه**".

وقال تعالى: "وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

وقال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً"

إن البيئة التعليمية الفعالة هي بيئة تعلم آمنة تثري العلاقات الإيجابية بين أفرادها، وتنمي الانتماء بين طلابها ومعلميها، وتوفر سياسات إدارية فعالة تدعم الاتجاهات الإيجابية والأخلاقيات العالية.

إذا كان للانتماء المؤسسي أهميته الدينية والأخلاقية والاجتماعية والتربوية فما سمات مَنْ يتمتع ويلتزم بهذه القيمة النبيلة السامية؟

تتضح تلك السمات عند المقارنة بين قطبين متناقضين هما مَنْ يتمتع بهذه النعمة الإلهية في مقابل مَنْ يستغل المؤسسة.

مَنْ يقوَى انتماؤه المؤسسي يكون أكثر استعدادًا للتضحية من أجل بقاء المؤسسة واستمرارها، أما المستغل للمؤسسة فإنه يناضل من أجل مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية.

يميل مرتفع الانتماء المؤسسي إلى تأييد ودعم قيم المؤسسة والبقاء فيها لأطول فترة ممكنة حبًا و إخلاصًا، أما المستغل فإنه يعيد تشكيل قيم المؤسسة ويضع من القواعد والمبادئ ما يحقق البقاء في المؤسسة لأطول فترة ممكنة تحقيقًا لرغباته ونماءً لمكاسبه وغنائمه.

يعمل مرتفع الانتماء المؤسسي على تعزيز الشعور بالمسئولية العامة والعمل بإخلاص وأمانة، مما يجعله أكثر وعيًا وحرصًا على الامتثال لقواعد السلوك المقبولة بالمؤسسة، أما المستغل فإنه يعزز الشعور بالمسئولية الخاصة، لذلك يكون أكثر وعيًا وحرصًا على إعادة صياغة قواعد السلوك على النحو الذي يروق له ويحقق أهدافه.

يعبر الانتماء المؤسسي عن مشاعر الفرد التي تشير إلى رغبته واستعداده لتقديم التضحية لزملائه ومؤسسته، أما المستغل للمؤسسة فتشير مشاعره إلى رغبته واستعداده

لتقديم المنح والعطايا والهبات للأحباء والمناصرين والمؤيدين والمشايعين له مهما أدى ذلك إلى التضحية بالمؤسسة وأهدافها.

يسود لدى مرتفعي الانتماء المؤسسي "الانتماء العاطفي" أي قوة التطابق والتصاق الفرد بالمؤسسة والالتزام الأدبي بالبقاء فيها، أما المستغل للمؤسسة فيغلب على تصرفاته وسلوكه "انتماء الاحتياج" أي تقديره للمزايا الوظيفية التي تعود عليه من المؤسسة والتي قد يفقدها عند تركه لها، إنه (ولاء حسابي) قائم على المنافع والمزايا وغلبة المصالح الشخصية على المصالح المتبادلة بينه وبين المؤسسة.

يسود لدى مرتفع الانتماء المؤسسي الشعور والإحساس بالعائلية والمشاركة الجماعية التي تشمل حياة الأفراد الوظيفية والاجتماعية، أما المستغل فيسود لديه الإحساس بالشللية التي تقتصر على بعض المنافقين والمتزلفين وبمنافعهم المصلحية.

يتسم مرتفع الانتماء المؤسسي بالحرص على العدالة التنظيمية أي الطريقة التي يحكم من خلالها على عدالة الأسلوب الذي يستخدمه المسئول أو المدير في التعامل على المستويين الوظيفي والإنساني، وتتحدد تلك العدالة في ضوء ما يدركه الأفراد من نزاهة وموضوعية الإجراءات والمخرجات. أما المستغل فالعدالة لديه لفظية موقفية شللية نفعية سواء في توزيع المخرجات أو المكافآت أو الإجراءات والتعاملات.

يتميز مرتفع الانتماء المؤسسي بالإخلاص الإيماني، إنه إخلاص أودعه اللهُ قلبَ عبده المؤمن. أما المستغل فإخلاصه لفظي يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب. ليس هذا فحسب بل إن إخلاصه مظهري كالطبل الأجوف تسمع قعقعة صوته ولا ترى منه نفعًا للمؤسسة.

ثم ماذا بعد؟

أوضحت الآياتُ القرآنيةُ الكريمةُ النتيجةَ؛ إذ **قال تعالى: "فأما الزبد فيذهب جفآء وأمَّا ما ينفع الناس فيمكث في الأرض". وقال تعالى للمستغلين: "وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً"** صدق الله العظيم.

وقى الله مؤسساتنا التربوية شرَّ مستغليها الميكيافيلليين

وحمى الله ووفق مرتفعي الانتماء المؤسسي المخلصين الصادقين

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل